

## المقدمة الغزلية للمدحة النبوية الأندلسية

الدكتورة فيروز موسى

جامعة البعث

حمص - سورية

تمهيد:

لقد كثر انتشار المقدمة الغزلية في صدور المدائح في الشعر العربي "فقد افتتح الشعراء الجاهليون، قصائد كثيرة بالمقدمة الغزلية، وتتألف هذه المقدمة من الحديث عن صد المحبوبة وهجرها، أو بعدها وانفصالها وما يخلفه البعد والهجر والفرق من تعلق شديد وشوق مستبد، ودموع غزار يسكبها الشاعر حسرة وألماً ولهفة، وسرعان ما تقد على خاطره أيامه الماضية السعيدة، وذكرياته الحلوة الجميلة، حين كان يلتقي بمحبوبته ويبوح كل منهما لصاحبه بحبه، وتبادلته إعجاباً بإعجاب، وشوقاً بشوق، حتى إذا ما انتهى من ذلك مضى يصف محاسنها ومفاتيح جسدها، وهو وصف التفتوا فيه إلى المحاسن الجسدية، أكثر من التفتهم للمحاسن المعنوية.."<sup>(١)</sup>

وقد شاعت المقدمة الغزلية كما رسمها شعراء الجاهلية في صدور المدائح الأندلسية، وقد اقتفى فيها الشعراء العرب في الأندلس آثار أسلافهم غالباً.

### المقدمة الغزلية للمدحة النبوية

تعد المقدمة الغزلية من المقدمات الواسعة الانتشار في صدور المدائح

---

(١) مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حسين عطوان، دار المعارف بمصر ١٩٧٤م. ص (١٢٨).

النبوية الأندلسية، إلا أن الغزل الذي تصدر قصيدة المدائح النبوية قد اكتسب ميزات خاصة، فلم يعد النسيب فيه يقصد لذاته حتى يتحدث الشاعر عن هواه، وإنما هو نسيب وقع موقع التمهيد لقصيدة دينية، ولولا حرص الشاعر على متابعة افتتاح القصائد بالنسيب، لما كان للغزل في مثل هذه القصيدة مكان. "قالغزل الذي يصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب، ويتضائل، ويتشيب مطرباً بذكر سلع وراماة، وسفع العقيق، والعذيب والفوير ولعلع وأكفاف حاجر، ويطرح ذكر محاسن المرأة، والتغزل في ثقل الردف، ودقة الخصر، وبياض الساق، وحمرة الخد، وخضرة العذار، وما أشبه ذلك"<sup>(٢)</sup>.

ولعل مقدمة قصيدة أبي القاسم بن أبي<sup>(٣)</sup> ذكريا نموذج من المقدمات الغزلية التي تفيض بعواطف الصوفية المغرقة في الرمز إلى حب الرسول، والتغني بصفاته.

وفي تلك المقدمة، يبث الشاعر أحزان إنسان شفه الوجد، وأضناه البعاد، فيشكو إلى الليل أحزانه، ويذرف الدمع بغزارة ويقول:

أصغي إلى الوجد لَمَّا جَدَّ عاتبه	صَبَّ لَه شغْل عمن يعاتبُه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يداً	فضلٌ مَنْ ظَلَّ إرْشاداً يخاطبُه
لولا النوى لم ييست حران مكتباً	يغالِبُ الوجدَ كتماً وهو غالبُه
يستودع الليل أسرار الغرام وما	تميلُه أشجانُه فالدمعُ كاتبُه <sup>(٤)</sup>

ومما يميز هذه المقدمة، أن الشاعر يستجمع منها عدداً من مقومات المقدمة

(٢) المدائح النبوية، زكي مبارك... ص (٣٦).

(٣) أبو القاسم بن ذكريا البرجي، هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم البرجي، يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة.

(٤) نفع الطيب، للمقري تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩. (٦ - ٧٠)

الغزلية التقليدية، يسترجع ذكريات الماضي مناجياً أحبته، ويذكر ربوع الحمى، ولكن الشاعر لا يقصد الغرض المعروف من الغزل التقليدي، وإنما وضع مقدمته في سياق يجعلها مناسبة كصدر لمدحة نبوية، يتجلى ذلك من خلال حنيته إلى أماكن الصلاة وذرف الدموع الغزيرة على أحبة قد يكون ذكرهم وسيلة للربط بينه وبين المدح النبوي لما في ذلك من إشارات دينية:

الله عصرٌ بشرقيّ الحمى سمحتُ      بالوصل أوقاتسه لسو عَآد زَاهِبُهُ  
ويا أهيل ودادي والتوى قذف      والقربُ قد أبهت دوني مذاهْبُهُ  
ويا ربوع الحمى لازلتُ ناعمةً      يبكي عهودك مضنى الجسم شاحِبُهُ<sup>(٥)</sup>

ويجسد الشاعر أيضاً بعض مقومات المقدمة الغزلية عندما يصف الرحلة عبر صحراء رمضاء وهو يعاني من الحر والعطش، ويقاسي المسافات البعيدة. ولا شك في أن هذه الرحلة تختلف بما تحمله من معان سامية عن الرحلة التقليدية إلى الممدوح عندما يكون ملكاً أو خليفة أو زعيماً، فهنا يتحمل الشاعر كل ما في الرحلة من متاعب في سبيل الوصول إلى أماكن المقدسات التي يدل عليها تحببه لمدينة طيبة، ولعل هذا التحبب يبعد المقدمة عن دائرة المقدمة التقليدية ليدخلها إلى صومعة المتصوفين، ويوشحها بوشاح الرمز.

شدّوا على لهبِ الرمضاءِ وطأَتْهم      فغاصَ في لجةِ الظلماءِ راسِبُهُ  
وكلفوا الليلَ من طولِ السرى شطْطاً      فخآفوهُ وقد شسابتْ ذوائِبُهُ  
فيها وفي طيبةِ الغراءِ لي أملٌ      يصاحبُ القلبَ منه ما يصاحبُهُ  
شوقي إليها وإن شطَّ المزارُ بها      شوقِ المقيمِ وقد سارتْ حبايِبُهُ  
إن ردها الدهرُ يوماً بعدما عبثتْ      في الشميلِ منّا يداه لا نعايِبُهُ

(٥) نفسه (٦ - ٧٠)

معاهد شرفت بالمصطفى فلها من فضله شرف تعلقو مراتبه<sup>(٦)</sup>

ثم ينتقل إلى المدح انتقالاً موفقاً، فقد ربط بين حنينه إلى تلك الديار، وتحببه لأهلها، وبين حبه للنبي الممدوح، ثم يتابع قصيدته مستكماً المدح النبوي الذي يختمه بمدح الخليفة مشيراً إلى أبرز الأحداث السياسية آنذاك، وبذلك يكون الشاعر قد استطاع أن يكسب قصيدة المدح قيمة تاريخية إذ وظفها لتكون سجلاً سياسياً بالإضافة إلى قيمتها الدينية.

وقد استهل عبدالعزيز بن علي قصيدة في مدح النبي، بمقدمة غزلية عبر فيها عن نظرتة إلى الحب الصادق الذي يكتمه الإنسان حتى لا يستطيع كتمانسه عندما يتأثر بكل جوارحه وأعضائه، ووضع بعض أسس الحب التي يسير عليها المحبون كالتملق والتمويه والكتمان والصبر:

القلبُ يعشقُ والمدامعُ تنطبقُ	برح الخفاء فكلُّ عضوٍ منطبقُ
إن كنتُ أكتُمُ ما أكنّ من الجوى	فشحوبٌ لوني في الغرامِ مصدقُ
وتداللي عند اللقا وتملقي	أن المحبَّ إذا دنا يتملقُ
فلكم سترتُ عن الوجودِ محبتي	والدمعُ يفضحُ ما يسرُّ المنطقُ
ولكنم أموه بالطلولِ وبالكنى	وأخوضُ بحرَ الكتمِ وهو الأليقُ <sup>(٧)</sup>

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من إشارات وإيماءات تدل على أن الشاعر مهد بها لتكون مقدمة مناسبة لمدحة نبوية، ولم يذكرها متغزلاً بفتاة على عادة الشعراء في افتتاح قصائدهم المدحية، وقد تجلّى ذلك في بعض الملامح الرمزية والصوفية التي تغلغت بين كلمات القصيدة مجسدة بعض آراء المتصوفة

(٦) نفسه (٦ - ٧٢).

(٧) نفسه (٦ - ١١٥).

ومعتقداتهم حول كنه رسول الله وستر وجوده، وقربه من الله والبشر.

ظَهَرَ الحبيبُ فليستُ أبصرُ غيرَهُ      فبكلِ مرئِي أرى يتحققُ  
ما في الوجودِ تكثُرُ لمكثُرِ      إنَّ المكثُرَ بالأباطيلِ يعلقُ  
يا سائلي عَن بعضِ كنهِ صفاتِهِ      كلَّ اللسانِ وكلَّ عنه المنطقُ<sup>(٨)</sup>

وتتجلى براعة الشاعر في تلك المحاكمة العقلية التي أوردتها عندما أراد أن يخلص إلى مدح الرسول بقوله:

وأخلص إذا شئتَ الوصولَ ولا تتل      فالفجرُ عن طلبِ المعارفِ موبقُ  
دع رتبةَ التقليدِ عنك ولا تتبه      تلقَ السذي قيَدتَ وهو المطلقُ  
جرّد حسامِ النفسِ عن جفنِ الهوى      إنَّ العوائِدَ بالتجردِ تخرقُ  
بالذوقِ لا بالعلمِ يدرك علمنا      سر يمكنون الكتابِ مصدقُ  
وبما أتى عن خيرٍ من وطئِ الثرى      سر الوجودِ وغيثه المتدفقُ<sup>(٩)</sup>

وبهذا استطاع الشاعر أن يمهد لغرضه بمقدمة غزلية فيها عمق الإحساس وصدق العاطفة، وكأنه يرمز بغزله، إلى حبه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتعمقه في تعاليم الإسلام، وقد تأكد ذلك من خلال الترابط النفسي والعاطفي بين المقدمة والأبيات التي أحسن التخلّص فيها ليصل إلى مدح النبي الكريم.

وقد افتتح لسان الدين بن الخطيب بعض مدائحه النبوية بمقدمات غزلية تفيض بعواطف الحب والشوق إلى رؤية المحبوب، وقد صور فيها الشاعر ما يعانيه من وجد وسقام. وهذه المقدمات لوحات فنية مناسبة لقصيدة المدح النبوي لما فيها من عمق نفسي، وبعد عاطفي جعلها أقرب إلى الحب أو الغزل

(٨) نفسه من (٦-١١٥).

(٩) نفسه (٦-١١٦).

الرمزي لتكون وثيقة الصلة بالعواطف الدينية النابعة من حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما يجعلها تختلف اختلافاً واضحاً عن الغزل التقليدي، كقول لسان الدين في فاتحة إحدى مدائحه:

ما على القلب بعدكم من جناح      أن يرى طائراً بغير جناح  
وعلى الشوق أن يشب إذا هباً      بأنفاسكم نسيم الصباح  
جيرة الحي والحديث شجون      والليالي تلين بعد الجماح<sup>(١٠)</sup>

وتغلب على هذه اللوحات مشاهد التصوير الذاتي، إذ يعكس الشاعر صورة نفسه المعذبة، وما يعانيه من ألم الفراق والوجد، ويغلف لوحته بوشاح من عواطف الصوفية يتجلى بوضوح من خلال قوله:

يا ترى والنفوس أسرى الأمانى      ما لها عن وثاقها من براح  
هل يباح الورود بعد زياد      أو يتاح اللقاء بعسد انتزاح  
وإذا أعوز الجسم التلاقي      ناب عنه تعارف الأرواح<sup>(١١)</sup>

ويبرز الشاعر في هذه المقدمة عنصر الرحلة التي هي رحلة شوق صوفي، فالشاعر يعبر عن شوقه إلى الرسول من خلال تصويره للرحلة عبر الفيافي ليصل إلى مهد رسول الله ويكحل عينيه بمراى مثواه:

وركاب سروا وقد شمل الليل      بمسح الذجى جميع النواحي  
خلفوني من بعدهم ناكس الطرف      ثقيل الخطا مهيضاً جناحي  
وطووا طوع لآعج الشوق والوجد      إلى الأبطحي عبر البطاح

(١٠) الصيب والجهام والماضي والكهام، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد الشريف قاهر، الجزائر ١٩٧٣ م. ص (٣٨٨).

(١١) نفسه (٣٩٠)

مصطفى الكون من ظهور النبيين هداة الأنام سبل الفلاح<sup>(١٢)</sup>

وقد استطاع الشاعر أن يرسم صورة للمقدمة الغزلية في قصيدة المدح النبوي، ووفر لها كثيرا من المقومات التي تضيء على لوحته الكمال، وقد ربط بين مشاهدتها بخيوط متينة من العواطف الجياشة. وقد تجلت الرمزية بوضوح في كثير من المقدمات الغزلية، ففي افتتاحية قصيدة للسان الدين في مدح النبي الكريم يكني باسم سلمى عن حبه لرسول الله، ثم يصور ألمه وحزنه لبعده عنها وأثر الصد والحرمان على نفسه، ويشير إلى تعلقه الشديد بها، فما من شيء في الدنيا يستطيع أن يفرق بينه وبينها ولعل هذا التملق من الرموز التي يهدف إليها الشاعر ليدل على حبه للرسول الكريم:

سل ما لسلمى بنار الهجر تكويني      وحبها في الحشى من قبل تكويني  
وفي مناهها تمنيت المنى فغدا      قلبي كئيبا ببلاواه ينساجيني  
وفي قباب قبا قامت لنا قبا      طرازها مذهب في حسن تزيين<sup>(١٣)</sup>

ويزيد الشاعر لوحته جمالا باستكمال أكثر عناصر المقدمة الغزلية، إذ يعرج على ديار الأحبة، وهذا التعريج الرمزي من شاعر أندلسي، يتجلى في ذكر الأماكن الحجازية كي تكون خاتمة المطاف إلقاء التحية على الرسول الكريم:

يا صاح عج بالحمى وانزل بهم سحرا      وانظر لعجب أثيلات البساتين  
وفوق سفح عقيق الدمع عج لـتري      جاذر الحي بين الخرد العين  
ومل على أثيلات البان منعظا      وحي سلعا وسل عن حال مسكين  
ثم أت جزعا وجز عن حي كاظمة      واقرا السلام على خير النبيين

(١٢) نفسه (٣٩١)

(١٣) أزهار الرياض، للمقري تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٣٩م. ص (٣١٧:١)

محمد المصطفى المختار من ظهرت آياته فتسلى كل محزون<sup>(١٤)</sup>

وبذلك فقد استطاع الشاعر أن يمهد لقصيدته بمقدمة تتصل بالقصيدة اتصالاً روحياً، وما زيارة الأماكن إلا ليسهل الانتقال إلى المدح.

وبذلك هذا الكاتب أبو يحيى بن خلدون حذو ابن الخطيب في قصيدة نبوية مطلعها:

مَا عَلَى الصَّبِّ فِي الْهَوَى مِنْ جِنَاحٍ      أَنْ يَرَى حَلْفَ عِبْرَةٍ وَافْتِضَاحٍ

وفي هذا المطلع يبدو حنين الشاعر لأحبائه، ويأسه لبعدهم عنه، ويدعو بالسقيا لديارهم ويتذكر ماضيه فيها من خلال ذكر أسماء بعض الأماكن التي لذكرها أثر خاص في توظيف هذه المقدمة، والتمهيد بها لتكون ملائمة لقصيدة نبوية، ولها دلالاتها ومميزاتها كارتباط تلك الأمكنة بمشاعر مقدسة في النفوس البشرية:

وَإِذَا مَا الْمُحِبِّ عَيْلٌ اصْطَبَارًا      كَيْفَ يَصْغِي إِلَى نَصِيحَةِ لَاحٍ  
يَسَارِعِي اللَّهَ بِالْمَحْصَبِ رِبْعًا      أَذْنَتُ عَهْدِهِ النَّوَى بِانْتِزَاحٍ  
كَمْ أَدْرْنَا كَأْسَ الْهَوَى فِيهِ فَرْحًا      رَبِّ جَدٍ مِنَ الْجَوَى فِي الْمَزَاحِ<sup>(١٥)</sup>

ولعل من الظواهر المميزة للمطلع الغزلي الذي يمهد للمدحة النبوية بعده عن الصفات الحسية، وتصويره للنفوس الحزينة، وما أضفاه عليها الفراق والبعده

(١٤) نفسه (٣١٧:١)

(١٥) نفع الطيب (٥١٠:٦).

من ألم ووجد، وتمتاز تلك المطالع أيضاً بالدموع الفياضة التي لا يجد الشاعر  
حرجاً في الإفصاح عنها:

نسأل الدار بالخيطِ ونسستي  
فاسألوا البرقَ عن خفوقِ فؤادي  
يا أهيل الحمى نداء مشوق  
طالما استعذب المدامع وردا  
ذلك الربع بالدموع السافح  
والصبا عن سقامِ جسمي المتاح  
ماله عن هوى الدمى من براح  
في هواكم عن كلِّ عذبٍ قراح<sup>(١٦)</sup>

ويظهر المعنى الرمزي لهذه المقدمة عندما يعرض الشاعر صورة لـهوه  
في الماضي محاولاً أن يجسد توبته عن ذلك الماضي معلناً التوبة والاستغفار  
والندم على ما فات، معلناً أن التكفير عن ذنوبه السابقة لا يكون إلا بمدحه  
الرسول والتوسل له:

أي مسرى حمدت لـم أخلُ منه  
واخساري يوم القيامة إن لـم  
لـم أقدم وسيلة فيه إلا  
بسوى حسرةٍ وطولٍ افتضاحٍ  
يغفر الله زلتني واجتراحي  
حُبُّ خيرِ الوري الشفيع الماحي<sup>(١٧)</sup>

ويلاحظ كيف استطاع الشاعر أن يربط ربطاً موقفاً بين المقدمة والمدح  
مستعيناً بالعواطف والوسائل النفسية، فكان ربطه شكلياً ومعنوياً حسناً.

أما ابن جابر الأندلسي ، فيبدأ إحدى نبوياته بمقدمة غزلية تقليدية بطالب  
المرور على بعض الأماكن الحجازية، وإلقاء التحية على الديار وبثها ما تثيره  
ذكرها في نفسه من شجون، ويذكر اسم فتاته ويشير إلى حبه لها وتعلقه بحماها،

(١٦) نفسه (٥١٠:٦).

(١٧) نفسه (٥١٢:٦).

إشارة رمزية تدل على تعلقه بالمواطن التي سكنها أو حل فيها أو زارها الرسول، وقد ظهر ذلك في إلحاحه على ذكر أسماء تلك المواطن التي تحمل معاني مقدسة:

بطيبة انزل يمم سيد الأمم      وانشر له المدح وانثر أطيّب الكلم  
وابذل دموعك واعزل كل مصطبر      والحق بمن سار والحظ ما على العلم<sup>(١٨)</sup>

وقد ربط الشاعر بين المقدمة الغزلية وغرض المدح بذكر الأماكن التي تحمل المعاني المقدسة وكذلك بلجوهه إلى كنف الرحمن تاركاً أيام التغزل وليالي التصابي، منتقلاً إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليشفع له لمغفرة ذنوبه وخطاياها. كما لجأ لسان الدين بن الخطيب معلناً أن لا فائدة من استرجاع الذكريات، والأجدر بالإنسان أن يلوذ بكنف الرحمن فيذكره تطيب النفوس:

مالي وتذكّار الصبابة والصبأ      ومواتقاً عند الهوى وعهودا  
وصباح شيب الفود لاح بمفرقي      فغدوت من فقد الصبأ مفؤودا  
وتذكرت عهداً بمنعرج اللوى      لا يستحيل وموتقاً مشهودا<sup>(١٩)</sup>

ومن مقومات المقدمة الغزلية في صدر المدحة النبوية تذكر أطلال الأحبة والتغزل بديار المحبوبة التي ترمز إلى الديار المقدسة. فالشاعر الأندلسي السذي عاش مغترباً، وقف على أرض المغرب البعيد رامياً بنظره إلى أرض الأبياء والجدود، إلى أرض المشرق العربي، مستعيداً ذكره بتلك البقاع، ومردداً بأسلوب تقليدي مشاهد الوقوف الطللي، فإن كان شعراء الجاهلية يقفون

(١٨) الحلة السيرا في مدح خير الورى، ابن جابر الأندلسي، تحقيق علي أبو زيد.

(١٩) الصيب والجهم (٤٨٤)

ويستوقفون فإن عباده بن لسان الدين يستحلف الراكب أن يقفوا على أطلال  
الديار التي اضطرت إلى الرحيل عنها، ويعبر عن حنينه لتلك المعاهد، ولذلك فهو  
يلج على صاحبه أن يعرج عليها لعله يشفي بمرآها قلبه العليل، ثم يدعو لهذه  
الديار بالسقيا ولا يخفى أن الدعاء بالسقيا تقليد جاهلي:

بقق الهوى ياخذاء الحمول	قفوها قليلاً بتلك الطول
معاهدُ مرت عليها السحابُ	ببرقِ خفوقٍ ودمعِ همول
أحن إليها حنين اليشار	وأبكي عليها بشجو طويل
فيا سعدُ عرج عليها الركاب	ففيها لقلبي شفاء العليل <sup>(٢٠)</sup>

ومن الملاحظ أن أطلال الشاعر الأندلسي منازل حية ملأى بالناس وتسير  
فيها الحياة سيراً طبيعياً، إلا أن الشاعر اضطرت مرغماً إلى البعاد عنها وحنينه  
دائماً إليها، ولذلك فهو يصور حالته النفسية ويعكس أحزانه لأنه لا يستطيع أن  
يعيش في تلك الديار ويأمل أن ينعم بزيارتها:

ومما شجاني وميضُ خفوقٍ	كقلبي غداة النوى والرحيل
ودمع يساجل دمع الغمام	وشجو الحرائم عند الهديل
فيا ليت شعري وهل من سبيل	ويا طيب مأوى بظل ظليل
وهل يسمخ الدهرُ بعد العناد	بجبر الكسير وعزّ الذليل
وهل راجع عهدنا بالحمى	على رغم دهر ظلوم جهول <sup>(٢١)</sup>

وتكتسب هذه المقدمة قيمة كبرى من خلال دلالاتها على المعاني الدينية

(٢٠) نفع الطيب (٧: ٢٩٠)

(٢١) نفسه (٧: ٢٩١)

الكبرى التي تجسدها عندما يذكر الشاعر أسماء الأماكن الحجازية المقدسة،  
فالشاعر صاغ هذه المقدمة لتكون تمهيداً للمديح النبوي، ولذلك فقد وشاها ببعض  
المعاني الدينية التي كان يرددتها الصوفيون:

وفي ذمة الله ركب سسروا      يجدون والليلُ مرخى السدول  
نشاوى بكأسين كأس السهوى      وكأس من الأمن مثل الشمول  
يؤمنون بالعيس أم القرى      وقبر النبي الشفيع الرسول<sup>(٢٢)</sup>

وقد اكتسبت المقدمة الغزلية عمقها من خلال قدرة الشاعر على توفير أكثر  
مقومات هذه المقدمة. ومن أبرز المشاهد في تلك اللوحة الفنية مشهد تصوير  
النفس البشرية التي تفيض بمشاعر الحب والحنين الصوفي الصادق، وهي تعاني  
من لوعة الشوق، وتكابد آلام البعد عن مئوى الحبيب الهادي، ولكن بوارق الأمل  
التي يماني الصوفية نفوسهم بها، ما تنفك تبرق فتضيء النفوس، وينعكس هذا  
البريق في الشعر مسجلاً لوحات فنية لها مقوماتها البارزة.

فقد افتتح ابن عربي بعض مدائحه بمقدمات تعبر عن تتالي أحزان المحب،  
حتى أن شجو الحمام يثير أشجانته، وهو يرمز بذلك إلى معان لا يود أن يفصح  
عنها، وهي تضطرب في مكنون أفكاره إلا عندما يتمنى أن يزور بعض الأماكن  
الحجازية، عله يطوف بالكعبة الشريفة كما طاف رسول الله (صلى الله عليه  
وسلم):

أيا جماصات الأرائل والبان      ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني  
ترفقن لا تسهرن بالنوح والبكا      خفي صباياتي ومكنون أشجاني  
أطارحها عند الأصيل وبالضحى      بجنة مشتاق وأنسة هيمان

(٢٢) نفسه (٧: ٢٩١)

تتاوحت الأرواح في غيضة الصبا  
فمن لي والمحصب من منى ومن  
تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة  
كما طاف خير الرمل بالكعبة التي  
فمالت بأفنان علي فأفانني  
لي بذات الأثل من لي بنعمان  
لوجد وتبريح وتلثيم وأركانني  
يقول دليل العقل فيها بنقصان<sup>(٢٣)</sup>

فالشاعر استطاع من خلال الرمز أن يمهد للمدح النبوي تمهيداً أحسن الانتقال منه إلى المدح عندما انتقل إلى ذكر الأماكن والطواف بالكعبة، وما هذا الإفصاح عن خفايا النفس البشرية المغترية، وما تتمنى أن تحققه. مما سبق نستطيع أن نقول إن المقدمة الغزلية التي تنصدر بعض القصائد النبوية اكتست ثوباً جديداً مختلفاً عن ثوب الغزل في مقدمات قصائد المدح التقليدي، فقد تخفت المقدمة الغزلية في صدور الدائح النبوية من الأوصاف الحسية التي غصت بها المقدمات التقليدية، بالإضافة إلى غلبة روح الحنين والشوق إلى أماكن التغزل لما لها من معانٍ دلالية وكذلك فقد توشحت هذه المقدمات بالمعاني الرمزية الصوفية التي أخرجتها عن دائرة التقليد الحرفي، وأدخلتها في نطاق الرمسيز والتجديد. وكذلك فإن عنصر الرحلة من عناصر المقدمة الغزلية، ولكن الرحلة في مقدمة القصيدة النبوية، تحمل معاني سامية فهي رحلة تعبير عن السمو الفكري والأخلاقي ولا تقصد الكسب من ممدوح ملك أو خليفة أو زعيم، وبذلك فإن المقدمة الغزلية للمدائح النبوية قد صيغت صياغة مناسبة لتكون صدراً ملائماً لجسد متماسك.

(٢٣) ترجمان الأشواق، لابن عربي، دار صادر، بيروت ١٩٦١.

## المصادر والمراجع

١. أزهار الرياض - المقرئ أحمد، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٣٩م.
٢. ترجمان الأشواق - محيي الدين بن عربي، دار صادر، بيروت ١٩٦١م.
٣. الحلة السيرا في مدح خير الوري - ابن جابر الأندلسي، تحقيق علي أبو زيد. بيروت ط ١، ١٩٨٥م.
٤. الصيب والجهام والماضي والكهام - لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد الشريف قاهر، الجزائر ١٩٧٣م.
٥. المدائح النبوية - زكي مبارك، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٣٥م.
٦. مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي - حسين عطوان، دار المعارف القاهرة ١٩٧٤م.
٧. نفح الطيب (١-١٠) المقرئ أحمد، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٤٩م.